



كشفت وزارة الخارجية الأمريكية، أخيراً، عن سر جديد اكتشفه أجهزتها الاستخباراتية في سوريا، فأعلنت أن "الأسد يحرق جثث المعتقلين، ويقتل 50 معتقلًا يومياً في سجن صيادنايا. وروسيا وإيران تتحملان المسؤولية"، وكأن العالم لا يعرف شيئاً عن هذا، أو كأن روسيا وإيران ستصدمان بوصول الحقيقة إلى البيت الأبيض.

يدرك السوريون، كل السوريين، منذ عقود، أن أميركا ترصد حركة النمل في العالم، ولا تزال منذ عشرات السنين تحرك خيوط الدمى على خارطة، وتبث بكل بلدانه، لتشرف، بشكل مباشر أو غير مباشر، على توزيع ما في جوفه. وكيلا نقع في مغالطات نظرية المؤامرة، يمكننا، على الأقل، أن نقول ببساطة لا تقبل التشكيك، إن الأجهزة الاستخباراتية الأمريكية تعرف، على الأقل، كل ما يدور في الدول التي تشكل مناطق استراتيجية للسياسات الأمريكية، ومنها سوريا بلا شك. وبهذا، لا يمكن اعتبار الإعلان الأمريكي عن "محارق" الجثث في صيادنايا وغيرها من معتقلات الأسد، إلا ورقة سياسية جديدة تلوح بها الإدارة الأمريكية الجديدة، لأهداف يمكن تخمينها من دون القدرة على البت بحقيقةها.

على المدى القريب، تظهر زيارة الرئيس الأمريكي، دونالد ترامب، الأولى للمنطقة العربية، وفيها سيجتمع مع عدد من القادة العرب في قم سعودية وخليجية وإسلامية، وسيطرح، في هذه اللقاءات، بلا شك الوضع في سوريا، وسير العملية الأمريكية في "مكافحة الإرهاب" وإحلال السلام في المنطقة، وهو ما يتعلق بشكل مباشر بمخطط أمريكا في التعامل مع النظام السوري، والذي بدأته بشكل علني منذ استهداف مطار الشعيرات، بعيد الهجوم الكيميائي على خان شيخون. وبالتالي، فإن التصعيد الإعلامي ضد الأسد يتواافق مع السياسة الأمريكية المعلنة أخيراً، والتي ستقبض أمريكا ثمنها من صفقات السلاح المبرمة، ومن الصفقات السياسية التي ستبرم مع دول الجوار أو العالم العربي المتورط بالحرب في سوريا. وعلى صعيد آخر، يعتبر الإعلان الأمريكي الأخير رسالة سياسية جديدة لكل من روسيا وإيران، وهي تلوّح بأوراقٍ وملفاتٍ

يمكن استخدامها ضد كل منها، وذلك لا ينبع من أسباب إنسانية أو صحوة ضمير، لا سمح الله، بل إنه لا يتعذر كونه أوراق ضغط للتحكم بخريطة النفوذ على الأرض السورية، وبالتالي التحكم بخريطة توزيع ثروات الغاز والنفط وأسواق السلاح وغيرها.

ثمة ما حيك في الخفاء، ويتم الآن وضع الرتوش النهائية عليه، وربما لن يتأخر الإعلان عنه طويلاً. وربما يكون الإعلان الأميركي، أخيراً، عن محارق صيدنايا مجرد حلقة أخرى، بعد عدة تغيرات قد تبدو اعتيادية أو مجرد إشارات (منها تسلم رياض سيف رئاسة الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، وهو اقتصادي بتاريخ نضالي نظيف يجمع معظم السوريين على احترامه، مع فقدانهم شبه التام للثقة بالائتلاف ممثلاً سياسياً دولياً وحيداً للمعارضة). لكن المؤكد حتى الآن أن الإدارة الأميركية الجديدة، كما القديمة، وما يتبعها في ردود الأفعال من حكوماتٍ غربية وعربية، لم يستطعوا أن يقدموا للشعب السوري أكثر من حبائلٍ واهية من الأمل الذي لا يلبث أن يتحول كابوساً، بمجرد تمسّكهم به، وانجرارهم اللاشعوري تجاهه، في ظل يأسٍ بات مطبقاً وخانقاً على كل مكوناتهم.

أيام ثقيلة على السوريين في كل مكان لما تحمله من تغيراتٍ سريعةٍ على الأرض بامتداد واسع من أقصى شمال البلاد إلى أقصى جنوبها، وهي في معظمها مفاجئة ومخفية أكثر مما تكون مطمئنة. وبموازاتها، يتبع نظام الأسد وحلفاؤه استراتيجياتهم المكشوفة في القتل والتهجير القسري والاعتقال، لرسم سورية المفيدة، إضافة إلى إطلاق المراسيم والقرارات الداخلية وكأن شيئاً لا يحدث في العالم، أو كأنهم لا يزالون ينعمون بالضوء الأخضر الدولي للقيام بكل ما يريدون القيام به.

العربي الجديد

المصادر: